

٧ - الإسلام والفنون الجميلة

للأستاذ محمد عبد العزيز مرزوق

رأينا كيف كان لبعض توجهات الدين الإسلامي سواء ما كان منها إيجابياً أو سلبياً أثر واضح في إيجاد شخصية قوية للفنون الجميلة التي كان يزاولها المسلمون . على أن هناك عوامل أخرى تستمد أصولها من الدين الإسلامي قد تبدو لأول وهلة كأنها متقطعة الصلة بالفن ولكنها في الحقيقة ذات صلة بهذا

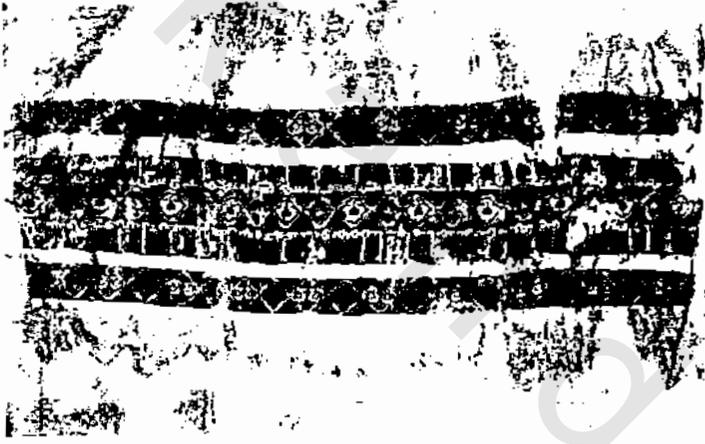
الأمر ، صلة غير مباشرة إلا أنها فمالة قوية الأثر تزي من الحق علينا أن نشير إليها وأن نبين كيف عاوت على نضوج الفن الإسلامي وساعدت على اطراد تقدمه . ولعل أهم هذه العوامل المساعدة ثلاثة :

والحسبة ، والوقف . وسنبين أولاً ما هي هذه النظم ثم نقف على ذلك بإيضاح أثرها في الفنون الجميلة

أما نظام النقابات فلا يمتينا هنا البحث في أصله أو ترجيح أحد الرأيين اللذين يحاولان الكشف عن ذلك ، فسواء أكان يرجع في أصله إلى النقابات البيزنطية التي كانت موجودة قبل الإسلام ، أو كانت من ابتداء الفرق الدينية الإسلامية كالإسماعيلية وغيرها ؛ فالأمر الذي لا يتطرق إليه الشك هو أن هذا النظام إزدهر وارتقى في ظل الإسلام ، وساهم بأوفر نصيب في تقدم الصناعة ، إذ كان لكل حرفة نقابة خاصة يرأسها شيخ الصنعة وبليه التقيب ثم الأسانذة ثم الأسطوات ثم المبتدئون . وكانت أسرار الصناعة تدرس عملياً في هذه النقابات

وكان لها قانون يستمد سلطته من الحكومة في كثير من الأحيان ويدور حول حماية المستهلك والمنتج على السواء ، فيضمن للأول جودة المصنوع وإتقان الصناعة وإتباع الأساليب المقررة فيها ، ويضرب بيد من حديد على الغش والتدليس ، ويضمن للثاني سهولة الحصول على المواد الخام اللازمة لصناعته ، ويمنع الاحتكار الذي يضر بالعمل ويسمى لرفع مستواه الاجتماعي . ولقد قضى على نظام النقابات بعد أن تغيرت الأسس الاقتصادية التي تسير عليها الأمم الإسلامية في الوقت الحاضر . على أنه لم تزل هناك ظاهرة اجتماعية تذكرنا به هي حفلة إثبات رؤية هلال شهر رمضان إذ تسير نقابات الحرف المختلفة في موكب الرؤية بنظام خاص . ولعل هذه

الصورة أوضح في الأرياف منها في القاهرة



قطعة لسيج من الكتان منسوج فيها أشرطة من الحرير ، بها زخارف وكتابة كوفية تتضمن اسم الخليفة الفاطمي المنتصر بالله - من كتاب الزخرفة المنسوجة في الأقبية الفاطمية - لمحمد عبد العزيز مرزوق ، (راجع العدد ٣٨)

وأما الحسبة فوظيفة أوجدتها الإسلام عند ما رأى أن الإنسان لا غنى له في حياته عن التعاون مع غيره ، وأدرك أنه لكي يستقيم أمر الجماعة لا بد من

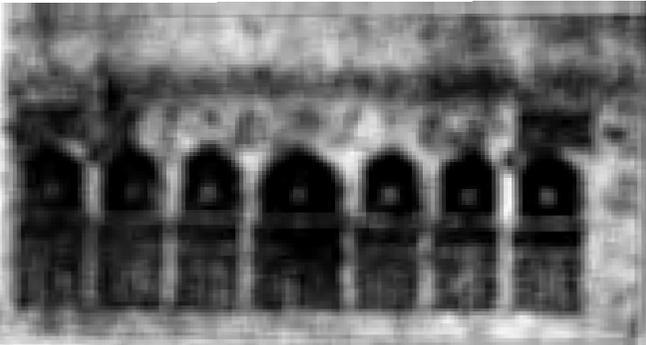
إيجاد سلطة تلزم كل إنسان حده ، ولا تترك مجالاً لمن طبعت نفسه على الشر أن يعيث بمصالح الناس إرضاء لشهوة جامحة أو نزوة طارئة . وقد استمدت وجودها من آيات قرآنية عديدة نجدها مفصلة في كتب الفقه الإسلامي أو الكتب التي قصرت نفسها على موضوع الحسبة وحده . ويكفي أن نذكر هنا أن أول من أوجدتها هو الخليفة الثاني عمر بن الخطاب المحتسب الأول الذي كان أول من شارف بنفسه الأسواق وراقب المكاييل والموازين وأمر بأماطة الأذى عن الطرق . على أن أعمال الحسبة لم تقف عندها الحد الذي وقف عنده عمر ، بل اتسعت دائرتها حتى شملت جميع ما يتصل بحياة الناس المدنية والدينية من أمر بالمعروف أو نهى عن النكر . وبهنا نحن بنوع خاص أنها تدخلت في شؤون

وقفياتهم ويصنيق المجال عن ذكرها جميعاً . والذي يهمنا من هذا



محراب من خشب عمل برسم معهد السيدة رقية بأمر زوجة الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله — من رسالة ق وصف محتويات دار الآثار العربية للمرحوم الأستاذ حسن الموارى

النظام أن أول قواعده وأهمها عمارة الأعيان المحبوسة سواء ما كان منها لاستخدامه في الأغراض سالفة الذكر أو لاستغلاله



واجهه ديوان المحراب في مسجد الصالح طلائع بن رزيك الوزير الفاطمي تولا من كتاب مساجد القاهرة قبل عهد المهالك لمحمد عبد العزيز مرزوق

للاتفاق عليها لضمان بقائها ودوام استقلال ربهما . ويفضل هذا العمل الجليل وصلت إلينا تلك الآثار الرائعة التي تزدان بها القاهرة اليوم من مساجد ومدافن ، وأسبلة وأربطة ، ومدارس ومنازل ومشاهد ووكاثل ، وتلك التحف النادرة الجميلة التي كانت تزين تلك الأبنية من محاريب وتوابيت ومشكوات وكرامى .
(يتبع)
عبد العزيز مرزوق

جميع الصناعات ورسمت لأربابها السبيل السوى الذى ينبغى عليهم أن يسلكوه ؛ فالخزاف والنساج والتجار والحائك والوراق والصائغ وغير هؤلاء من الصناعات لهم منهاج عليهم أن يتبعوه حتى يأمنوا عقاب الخدسب فى الدنيا وغضب الله فى الآخرة . وقوام مام مكلفون به إتقان العمل والإخلاص فيه وتجنب الغش والتدليس .



مشكاة من الزجاج المزخرف بالينا عملت باسم وقف الأمير إلماس وعليها اسم الصانع — من فهرس مقتنيات دار الآثار العربية للمرحوم هرقس بك

وأما الوقف فنظام نشأ فى الإسلام استناداً إلى أحاديث عدة لعل أشهرها ذلك الحديث الذى ذكره البخارى ومسلم فى صحيحهما كما ذكر أيضاً فى سنن أبى داود والترمذى والنسائى وابن ماجه وفى مسند ابن حنبل وفى طبقات ابن سعد وملخصه



قطعة من تابوت خشب لأم السلطان الأيوبي (السكامل) — من فهرس مقتنيات دار الآثار العربية للمرحوم هرقس بك

أن عمر بن الخطاب أصاب أرضاً بخيبر فأتى النبي صلوات عليه يستأمره فيها ، فقال له النبي إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها . ومنذ عهد عمر ونظام الوقف مستمر حتى يومنا هذا وقد اتسعت أغراضه بحيث شملت معظم نواحي الإصلاح الاجتماعى فأوقفت الأعيان على المساجد والمدارس ، والمارستانات والمدافن ، وعلى المساكين واليتامى ، وعلى الذين وهبوا حياتهم للعلم أو للدين ، وعلى غير ذلك من الأغراض التى سعت لها الواقفون فى